

في رحيل العلامة عبد الكريم زيدان .. عالما ربانيا



الاثنين 27 يناير 2014 12:01 م

د. وصفي عاشور أبو زيد

بوفاة العلامة عبد الكريم زيدان اليوم 27 يناير 2014م عن عمر يناهز السابعة والتسعين عاما، وما يقرب من قرن بالتقويم الهجري، تفقد الأمة علما من أعلامها، وكوكبا من كواكب الهداية في سمائها، وينهدم ركن من أركان العلم في عصرنا، ويثلم في بنيانه ثلثة لا تسد حتى يقوم مقامه عالم غيره.

وقد روي من حديث جابر مرفوعا: "موت العالم ثلثة في الإسلام لا يسدها اختلاف الليل والنهار". والطبراني: من حديث أبي الدرداء رفعه: "موت العالم مصيبة لا تجبر، وثلثة لا تسد، وموت قبيلة أبسر من موت عالم، وهو نجم طمس". ومنها عن ابن عمر، أخرجه الديلمي بلفظ: "ما قبض الله عالما إلا كان ثغرة في الإسلام لا تسد"، وثبت كما في صحيح الحاكم من حديث عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا تَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُضُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا" سورة الرعد آية 41 قال: موت علمائها . ولليهقي من حديث معروف بن خربوذ، عن أبي جعفر أنه قال: "موت عالم أحب إلى إبليس من موت سبعين عبدا".

وعن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا ، أَيْ يَنْزِعُهُ مِنْ صُدُورِ النَّاسِ ، وَوَلَكِنْ يَنْزِعُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ ، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا ، فَسُئِلُوا ، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا".

ونحن نرى اليوم رؤوسا جهالا يفتون بغير علم فيضلون ويضلون، وقد قال لبيد ابن ربيعة:

فقدانُ كلِّ أخٍ كضوءِ الكوكبِ	إنَّ الرزية لا رزيةَ مثلها
وتقيتُ في خَلْفِ كَجِلْدِ الأجرِ	ذهبَ الذينَ يعاشنُ في أكنافهم
ويُعابُ قائلُهُم وإن لم يَشعَبِ	لا ينفعون ولا يُرجى خيرهم

ولد عبد الكريم زيدان ببغداد سنة 1917م ونشأ فيها وتدرج، وتعلم قراءة القرآن الكريم في مكاتب تعليم القرآن الأهلية، ورحل إلى العمل في اليمن، وعمل في العديد من جامعاتها.

أكمل دراسته الأولية في بغداد، فدخل دار المعلمين الابتدائية، وبعد تخرجه فيها أصبح معلما في المدارس الابتدائية دخل كلية الحقوق ببغداد وتخرج فيها، وعين بعدها مديرا لثانوية النجبية الدينية، والتحق بمعهد الشريعة الإسلامية من جامعة القاهرة ونال الماجستير بتقدير ممتاز وحصل على شهادة الدكتوراه من كلية الحقوق جامعة القاهرة سنة 1962 بمرتبة الشرف الأولى، في موضوع: "أحكام الذميين والمستأمنين في الشريعة الإسلامية".

ترك للمكتبة الفقهية والأصولية عددا كبيرا من المؤلفات، منها: أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، والمدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، والكفالة والحوالة في الفقه المقارن، وأصول الدعوة، والفرد والدولة في الشريعة، والمفصل في أحكام المرأة وبيت المسلم في الشريعة الإسلامية، والوجيز في شرح القواعد الفقهية في الشريعة الإسلامية، والشرح العراقي للأصول العشرين، ونظرات في الشريعة الإسلامي، وأثر القصور في التصرفات والعقود، واللقطات وأحكامها في الشريعة الإسلامية، وأحكام اللقيط في الشريعة الإسلامية، وحالة الضرورة في الشريعة الإسلامية، والشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، والاختلاف في الشريعة الإسلامية، وعقيدة القضاء والقدر وأثرها في سلوك الفرد، والعقوبة في الشريعة الإسلامية، وحقوق الأفراد في دار الإسلام، والقيود الواردة على الملكية الفردية للمصلحة العامة في الشريعة الإسلامية، ونظام القضاء في الشريعة الإسلامية، وموقف الشريعة الإسلامية من الرق، والنية المجردة في الشريعة الإسلامية، ومسائل الرضاع في الشريعة الإسلامية.

كان عبد الكريم زيدان أصوليا فقيها قانونيا سياسيا عقيدا داعية ربانيا عالما عاملا، جامعا بين محكمات الشرع ومقتضيات العصر، مرتبطا بالأصل ومتصلا بالعصر، ينظر بعين على نصوص الشريعة، وبالعين الأخرى على تطور الواقع ومجرياته، فجاء فقهه وإنتاجه العلمي حيا نافعا خالدا، انتفع به الفقهاء، والقانونيون، والأصوليون، والدعاة، والسياسيون، وغير ذلك من تخصصات.

تميزت مؤلفات عبد الكريم زيدان بالعمق العلمي والتأصيل الشرعي والمنهجية الراسخة والتناول العميق والوعي بالواقع، والملائمة بينه وبين الشرع بما لا يخالف الأصول والكليات، فجاءت اجتهاداته على قدر مع الواقع، متميزة، نافعة مفيدة، سدت خلا، وجبرت نقضا، وزينت المكتبة الأصولية والفقهية.

أشهد بأن د. عبد الكريم زيدان كان أعمق من قرأت لهم في مجال الفقه والأصول من المعاصرين، ومع هذا لم تقتصر جهوده على الفقه والأصول فقط، وإنما تعدى هذا إلى مجالات أخرى مثل الدعوة والدراسات القرآنية والسياسة والعقيدة والنظم والقانون، حتى حصل على جائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الإسلامية سنة 1417 هـ / 1997م، عن كتابه: "المفصل في أحكام المرأة وبيت المسلم في الشريعة الإسلامية". وهو في 11 مجلدا.

إن الدرس المهم الذي يجب أن نعيه في نعي عالمنا الجليل وداعيتنا الرباني هو أن نقوم على تنشئة جيل من العلماء الواعين بالشرع والمتصلين بالعصر الذين يجمعون بين فقه النص وفقه الواقع وفقه تنزيل النص على الواقع، حتى يسدوا هذا النقص الذي يتسع يوما بعد يوم برحيل الربانيين الراسخين في العلم، وحتى يبلغوا الرسالة ويؤدوا الأمانة، ويقوموا بواجبهم نحو ميراث النبي صلى الله عليه وسلم.

رحم الله العلامة الكبير د. عبد الكريم زيدان، وأحلف الأمة فيه خيرا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.